

أصداء واقعة مدينة بربرشتر في التاريخ الأندلسي

أ.م.د. ماهر صبري كاظم

الجامعة المستنصرية/ العراق

الملخص:

إن للتاريخ الأندلسي العديد من الوقائع والإحداث التاريخية حيث كما هو معروف بقاء المسلمين في الأندلس (اسبانيا والبرتغال) ثمانية قرون، منذ الفتح الإسلامي في عام 92هـ/711م وما تخللها من عصور تاريخية كعصر الولاة والإمارة والخلافة والطوائف ثم عصر المرابطين والموحدين حتى سقوط آخر مدينة أندلسية وهي غرناطة في عام 897هـ/1492م، ومن تلك الوقائع حادثة مدينة بربرشتر الأندلسية التي لم يسلط عليها الضوء بشكل واسع من قبل المؤرخين سوى بعض الاشارات، لذلك اراد الباحث دراسة شاملة لتلك الحادثة التاريخية، وفي خضم هذه الاحداث كانت واقعة بربرشتر الأندلسية، أي في عصر الطوائف بعد انهيار الخلافة الأندلسية وضعف الأندلس، تحديدا في عام 456هـ/1064م.

Summary

The history of Andalusia has many historical facts and events where the survival of Muslims in Andalusia (Spain and Portugal) is known for eight centuries, since the Islamic conquest in 92 A.H. / 711 A.D. The last city of Andalusia, Granada in 897 A.H. / 1492 A.D, including the incidents of the city of Barbcheter Andalusia, which was not highlighted by a large extent by historians only some references, so the researcher wanted a comprehensive study of the historical incident, and in the midst of these incidents was the incident Barbcheter Andalusian, After the collapse of the Andalusian caliphate and the weakness of Andalusia, specifically in 456 A.H. / 1064 A.D,

الكلمات المفتاحية: الأندلس/ بربرشتر/ الطوائف/ تاريخ/ مدينة

المقدمة

إن التاريخ الأندلسي فيه الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي لم يسلم عليها الضوء بشكل واسع مثل حادثة بربرشت، فأراد الباحث الكشف عن تلك الحادثة بالأسلوب الوصفي والتحليلي والإجابة عن التساؤلات التي رافقت الموضوع كالموقع الجغرافية لهذه المدينة والعصر التي حدثت فيها الواقعة، وأطرافها فضلاً عن نتائجها، لذلك كانت تلك أسباب اختيار الموضوع التي حفزت الباحث للبحث عن تلك الواقعة التاريخية في التاريخ الأندلسي. فكما هو معروف بالأندلس (أسبانيا والبرتغال حالياً) استمر الحكم الإسلامي فيها ثمانية قرون منذ عام (92هـ/711م) مروراً بعهد الفتح وعصر الولاة والإمارة والخلافة ثم عصر الطوائف فبسبب ضعفها استنجدت بأهل المغرب من المرابطين والموحدين إلا أن قوة الممالك النصرانية كانت لها الغلبة باستسلام سلطنة غرناطة في عام (897هـ/1492م).

الأحداث التاريخية لهذه الواقعة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وبذلك تكون حدثت في عصر الطوائف، وهذا العصر معروف بانقسام الأندلس إلى أكثر من أثنان وعشرون ولاية وحاكم لها، وهذا دليل على الضعف والهوان التي كانت تعيشه الأندلس تلك المرحلة العصبية في التاريخ الأندلسي وهجمات الممالك النصرانية على المدن الأندلسية.

قسم الباحث محاور البحث إلى ثلاث، حيث جاء المحور الأول: (الأوضاع الداخلية والخارجية للأندلس قبل واقعة بربرشت)، عرض فيه الباحث الأحداث التاريخية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي مروراً بعصر الولاة والإمارة والخلافة موضحاً عصر الطوائف التي حدثت فيها الواقعة بشكل مختصر ودقيق وتسارع العوامل التي أدت إلى حدوث تلك الواقعة الاليمية حيث عرض فيه الباحث الظروف المحيطة بالمدينة سواء كانت خارجية المتمثلة بالممالك النصرانية مثل مملكة قشتالة وليون ونباريه مع الأوضاع الداخلية في الأندلس وواقع حال الضعف للملك الطوائف. أما المحور الثاني جاء بعنوان: (حادثة مدينة بربرشت الأندلسية في عام (456هـ/1064م))، فأعطى الباحث التفاصيل الدقيقة وعرض الروايات التاريخية وتحليلها وتفسير الكثير منها والتحقق من صحت الأحداث التاريخية بين المؤرخين حول تلك الحادثة المعروفة بهجوم النصاري على المدينة الأندلسية ووصف ما قاموا به من أعمال منافية للإنسانية من قتل وتهجير واعتداء على النساء والأطفال والشيوخ المسلمين. في حين كان المحور الثالث بعنوان: (أحوال المسلمين بعد الواقعة وأصدائها في التاريخ الأندلسي) حيث عرض فيه الباحث أثر تلك الحادثة على المسلمين وأصدائها عند المؤرخين الأندلسيين وكذلك المؤرخين في العصر الحديث.

أولاً: الأوضاع الداخلية والخارجية للأندلس قبل واقعة بربرشت

بعد عصر الفتح الإسلامي للأندلس توالى عدة عصور إسلامية ومن أهمها عصر الولاة الذي اتسم بتثبيت الحكم الإسلامي من خلال توالي عشرون والياً خلال اثنين وأربعين عاماً للمدة (95-138هـ/714-755م) والانفتاح على المجتمع فضلاً عن تأمين الثغور وحدث عدة معارك أشهرها معركة بلاط الشهداء التي خسرها المسلمون ضد النصاري من الفرنجة بمساندة أوربا من حكام وكنائس، ومن بعد تلك المعركة توقفت هجمات المسلمين والمحافظة على ما تم الاستحواذ عليه مع ظهور نواة الممالك النصرانية وتهديد الأندلس بين الحين والآخر⁽¹⁾.

أما فى عصر الإمارة (138-316هـ/755-929م) فقد شىدت على أىدى الأموىن وقضت على كل المعارضىن بإخماد الثورات الءاخلىة والتصدى لمخاطر الممالك النصرانىة ومؤامرات الءولة العباسىة فضلاً عن الاءتمام بالءانب العمرانى والقضائى والتعلیمى؁ فأصبحت قرطبة عاصمة الأندلس ومنارة العلم والتطور الإنسانى⁽²⁾.

وخلال عصر الخلفة (316-366هـ/929-976م) استقرت الأوضاع الءاخلىة بشكل كبىر وعرف بعصر التعاىش السلمى بىن مكونات المجتمع الأندلسى وبذلك توءد المجتمع وأصبح مجتمعاً موحداً بكل صفاته ومكوناته؁ وأصبحت الأندلس محل احترام وتقدير من الءول المآطة وحتى البعىة بتبادل السفارات والهدایا لما وصلت إلیه الأندلس من الرقى الحضارى والاستقرار السیاسى مما أءى إلى نهضة علمىة والإنسانىة إضافة إلى العءىء من الاءتكرارات والتطورات التى إنارة للعالم فى مآتلف العلوم والمعرفة⁽³⁾. إلا أن فى حقبة الحجابة (366-399هـ/976-1009م) بعد أن تولى الخلفة هشام بن الحكم بالوارثة الصغىر السن الذى لم یتجاوز عمره أءء عشر عاماً فكان بسمارنعش الأندلس لما أءء من فراغ سىاسى وظهور الحجابة التى عرفت بالءولة العامرىة؁ فعلى الرغم من قوتها إلا أن بذور الضعف كانت موجودة فى ركائز عصر الخلفة⁽⁴⁾. فءء الذى كان متوقعاً بالفتنة البربرىة وسقوط الخلفة نأىة النزاعات السیاسىة وظهور الفتن بىن المسلمىن فى الأندلس وانفصال السلطة الروحىة عن الزمنىة وظهور قاءة ضعفاء لم یكونوا بمستوى المسؤولىة فهىمنة المصلحة الشخصىة على المصلحة العامة⁽⁵⁾.

وبعد سقوط الخلفة الأموىة؁ انقسمت الأندلس فى عام (422هـ/1031م) لأكثر من اأنىن وعشرىن ءوبلة تعرف بعصر الطوائف حیث حكماها عرفوا بملوك الطوائف؁ وهى ءوبلات ضعیفة منقسمة تسعى للبقاء ولأمان مصالآها الشخصىة؁ ومن ءول ممالك الطوائف وحكماها مثل مملكة أشبىلىة حكماها بنى عباد ومملكة قرطبة بنى جهور فى حىن حكم بنى ذى النون مملكة طللطة وسىطر بنو زبرى على مملكة ٱرناطة أما مملكة بلنسىة حكماها الصقالبة ومملكة بطلىموس حكماها بنو الأفطس وقد تمكن بنو هوء من حكم مملكة سرقسطة؁ وفى نفس الوقت أخذت الممالك النصرانىة بالتوسع والظهور مستغلة فرصة ضعف الأندلس ومن أبرز: نبارة وعلقىة ولیون وقشتالة وأرغون ونافارا؁ فأصبحت سىاسة تلك الممالك مساعءة ملوك الطوائف على الصراع بعضهم على بعض وذلك بتشآعهم على التآارب فىما بىنهم من خلال السىطرة على الاراضى؁ فضلاً عن ما قامت به الممالك النصرانىة باآذ الجزىة السنوىة وتآرب أراضىهم وإآبارهم على الهجرة⁽⁶⁾.

فقد عرف الوضع الءاخلى بالضعف فى مملكة سرقسطة ذات الرقة الجغرافىة الواسعة والذى فىما مآنة برشتر؁ حكم تلك المملكة أسرة بنى هوء وأولهم (سلىمان بن محمد بن هوء الجءامى یكنى بـ أبو آیوب الملقب بـ المستعین بالله) وبعد وفاته تقاسم ابناؤه المملكة ومنهم: (أحمد بن سلىمان یكنى بـ أبو جعفر الملقب بـ المقتءر بالله) والذى قد وقعت الءاءة فى آیامه؁ كان أكثر آخوته طمعاً؁ فأستطاع ان یسىطر على بقىة الاراضى والمدن التى كانت بحوزة آخوته ولم یكتفى بذلك بل قام بسجن الآخوة؁ مما اءى الى ان اهل الرعىة عصوه وعدم طاعته لسوء اعماله وكان یشاركه فى الحكم آخیه (یوسف بن سلىمان یكنى بـ أبى عامر الملقب بـ المظفر) الذى عاى آخیه أحمد بن هوء لسوء اعماله مع آخوته وتفرءه بالسلطة لذلك اعلنت اهالى المملكة الطاعة والولاء لیوسف بن هوء؁ واستمر العءاء بىن الآخوىین الى ءرعة ان منع أحمد

بن هود قافلة مساعدات من اخيه يوسف بن هود ان تمر بأراضيه مما اضطر ان يتصل بـ(غريسيه ملك مملكة نافارا) لمرور القافلة عبر اراضيه الا ان احمد بن هود عندما علم بذلك استطاع ان يقنع ملك نافارا بأن يسمح له بمهاجمة القافلة والاستحواذ عليها مقابل ان يعطيه الضعف، فاستطاعت قوات احمد بن هود السيطرة على القافلة وقتل وأسر حراسها⁽⁷⁾.

فى تلك الاحداث الميرة التي يعانها اهل الاندلس، كانت هنالك تحركات و تحشد غربي للاعتداء على الاراضي الاندلسية المتمثلة بـ الغزو النورماندي⁽⁸⁾ وقائدهم (جيوم دي مونرى) الذي اصبح قائد الجيوش الرومانية والبابوية بعد ان رحل الى ايطاليا مقدم خدماته الى الكنيسة وبذلك حصل على الدعم المطلوب من الباباوات فى الكنيسة بالحرب على المسلمين فى الاندلس⁽⁹⁾.

ثانيا: حادثة مدينة برشتري الأندلسية فى عام (456هـ/1064م)

بعد الأوضاع المتردية التي عاشتها الأندلس نتيجة الانقسام إلى العديد من الطوائف وانعدام الوحدة الوطنية والرضوخ للمالك النصرانية أدى إلى تساقط المدن الأندلسية الواحدة بعد الأخرى، فأصبحت المدن الأندلسية لقمة سائغة للقوى الأجنبية⁽¹⁰⁾.

من تلك المدن مدينة برشتري الأندلسية والتي تعرف باللغة الأسبانية (Barbastro)، فيعرفها الحموي لغوياً بقوله: "برشتري: بضم الباء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوق"⁽¹¹⁾. فهي مدينة تقع ضمن حدود مملكة سرقسطة بين مدينتي لاردة ووشقة على فرع صغير من أفرع نهر أبرة فى الشمال الشرقى لمملكة سرقسطة وهي من أمنع القواعد الإسلامية الشمالية⁽¹²⁾. وقد وصفها الحميري اصطلاحاً بقوله: "هي مدينة من بلاد برطانية بالأندلس، وهي حصن على نهر مخرجة من عين قريبة منها، وبرشتري من أمهات مدن الثغر الفائقة فى الحصانة والامتناع"⁽¹³⁾.

أما الخطر الخارجى المتمثل بـ (النورمانديون) مع جموع من النصارى من الفرنسيين والممالك النصرانية مثل أراغون وقشتالة الذين توجهوا إلى الأندلس ويقدر عددهم بأربعين ألفاً حاصروا مدينة وشفقة ولم يستطيعوا اقتحامها فتوجهوا شرقاً إلى مدينة برشتري فحاصروا أربعين يوماً فى عام (456هـ/1064م) وجرت عدة معارك خارج المدينة، فسقط عدداً من المقاتلين من كلا الطرفين⁽¹⁴⁾.

استطاع النورمانديون اقتحام المدينة من الخارج بعد أن اشتد الضيق عليها بقلة الطعام واشتداد القتال العنيف، أما المسلمون فقد تحصنوا داخل المدينة وتحديداً بالقصبة لمقاومة الهجوم النورماندي عازمين على عدم الاستسلام، لذلك قاموا النصارى بقطع الماء على المسلمين فاشتد العطش والمدافعون. مما اضطر المدافعون تسليم المدينة بدون قتال مقابل السماح لهم ولعوائلهم بالخروج فوافق النورمانديون على ذلك فى بادئ الأمر لكنهم حينما استسلم المقاتلون وسلموا اسلحتهم غدر النورمانديون بهم، ودخلوا مدينة برشتري بالقوة⁽¹⁵⁾. فقد وصف الحميري ذلك بقوله: "... وقد غزاها، وقلة عدد من أهلها وعدة، أهل غاليش والروذمانون، وكانت عليهم رئيس يسمى البيطش وكان فى عسكره نحو أربعين ألف فارس، فحاصرها أربعين يوماً حتى افتتحها، وذلك فى سنة 456هـ"⁽¹⁶⁾.

لم يستطع يوسف بن هود رد العدوان أو الدفاع عن المدينة لضعفه من جهة ومن جهة أخرى لأنه ليس لديه طريق ارضي يتصل بها الا عن طريق الاراضي الواقعة تحت حكم اخيه او عن طريق اراضي مملكة نافارا وفي نفس الوقت لم يبادر أخيه احمد بن هود لإنقاذ المدينة من الحصار على الرغم من إمكانية ذلك الا انه اصر على معاقبة اهل لمدينة برېشتر لانهم خلعوا طاعته واعلنوا الولاء لآخيه يوسف بن هود ، فترك المدينة تواجه مصيرها المحتوم أمام النورماندين⁽¹⁷⁾.

ينقل لنا ابن بسام رسالة نصية مطولة يصف فيها الحادثة الأليمة التي فجع بها المسلمون في مدينة برېشتر، وهي رسالة إلى عدة مدن أندلسية للاستنجاد والمساعدة، أهم ما جاء فيها: "فأحاطت بنا كإحاطة القلادة بالعنق، يسومونا سوء العذاب، بضروب من الحرب والحراب، آناء ليلها ونهارها تصب علينا صواعقها ... وقد غلبوا على الأموال والأهلين، واستحكمت فيهم السيوف واستولت عليهم الحتوف، واثنختهم الجراح، وعبثت بهم زرق الرماح، وقد كثر الضجيج والعيول والنياح، ودماؤهم على أقدامهم تسيل، سيل المطر بكل سبيل، ورؤوسهم قدامهم تطير، وقلوبهم في أجسادهم تستطير، ولا مغيث ولا مجير"⁽¹⁸⁾.

لقد قام النصارى بتقسيم المدينة الى نواحي صغيرة يسيطر عليها احد افراد قادتهم لكي يستطيع السيطرة على الاهالي وتنفيذ اعمال القتل والسلب وتعذيب الأسر وتفريق الالب عن الزوجة والابن عن اخته للانفراد بهم وإضعافهم وتهجير واغتصاب النساء مما افسدوا في الارض فساداً وعبثاً لم تشهد الاندلس سابقاً بتلك الفاجعة الكبيرة⁽¹⁹⁾.

على الرغم من فظاعة تلك الحادثة على الاندلس وبعلم ملوك الطوائف وتأثرهم بتلك الاحداث والإعمال الا انهم لم يستطيعوا اتخاذ أي قرار بشأن ذلك نتيجة ضعفهم امام الممالك النصرانية وعجزهم عن فعل شيئاً يذكر في تلك الايام المريعة التي عاشها المسلمين في مدينة برېشتر، ويوصف لنا ابن السماك احوال ملوك الطوائف بقوله: "ونحن اهل الاندلس ليس لاحد منا طاقة على نصرة جاره ولا اخيه، ولو شاؤوا لفعلوا الا ان الهوان منعهم من ذلك ، وقد ساءت الاحوال، وانقطعت الامال"⁽²⁰⁾.

فأن جميع ملوك الطوائف تحت هيمنة وسيطرت الممالك النصرانية التي تفرض عليهم دفع الجزية السنوية ولن تسمح لهم بالتدخل لإنقاذ المسلمين، لانهم متمتعين بخيرات البلاد وانفاق الاموال على الملذات والاهتمام ببناء القصور وزخرفاتها وإنفاق الاموال على صغائر الامور كالشعر والغناء، تاركين الاراضي الاندلسية التي هي خارج سيطرتهم يعيث بها الغرباء معتقدين ان الخطر بعيداً عنهم ومدنهم محمية⁽²¹⁾.

ثالثاً: أحوال المسلمين بعد الواقعة وأصدائها في التاريخ الأندلسي

بعد انتصار النورماندين في اقتحام مدينة برېشتر بالقوة، قاموا بأعمال منافية للإنسانية باستباحة المدينة بكل ما فيها من نساء ورجال وأطفال وحتى شيوخ والذين يقدر عددهم بين أربعين إلى مئة ألف، وبعد أن أعطى قائد النورمان لهم بالأمان قام بقتلهم غدرًا للتقليل من أعدادهم فضلاً عن أنهم نهبوا المدينة واحتلوا بيوت المسلمين وقاموا بجرائم القتل وانتهاك حرمة المسلمين في المدينة⁽²²⁾.

ويوصف الحميري ذلك بقوله: "... فقتلوا عامة رجالها، وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونساءهم ما لا يحصى كثرة، ويذكر أنهم اختاروا من أبكار جواري المسلمين وأهل الحُسن منهن خمسة آلاف جارية فأهدوهن إلى صاحب القسطنطينية، وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه..."⁽²³⁾.

فقد وصف المؤرخون الأعمال التي قاموا بها النورمانديون ضد سكان مدينة بريشترا الأندلسية فقاموا بأعمال وحشية تعبر عن حقيقتهم الهمجية ومدى حقدهم على المسلمين⁽²⁴⁾. فقد بالغ المؤرخين في أرقام عدد القتلى والأسرى من المسلمين مبالغة كبيرة لكن هذا لم يمنع من الأعمال الوحشية المروعة التي أصابت المدينة الأندلسية من التقتيل والتدمير والتجهير⁽²⁵⁾. لكن الذي يؤكد هول تلك الحادثة المروعة هو وصف المؤرخ الأندلسي ابن حيان القرطبي تلك الحادثة نقلها لنا ابن عذاري بقوله: "وطرق الناعي بها قرطبة في شهر رمضان فصك الأسماع وأطار الأفتة وزلزل أرض الأندلس قاطبة وصار للناس شغلاً تسكعوا في التحدث به والسؤال عنه"⁽²⁶⁾.

بعد تلك الحادثة غادر المدينة الغزاة النورمانديين وتركوا قوة عسكرية لحمايتها وعادوا إلى بلادهم محملين بمقادير هائلة من الغنائم والأموال، فبعد أشهر أنتشر خبر الواقعة الأليمة في عموم الأندلس، فقام أحمد بن هود بالحث على استرجاع المدينة المختصة، ودعوة العلماء والفقهاء لمواجهة الخطر الخارجي والدعوة إلى الوحدة الوطنية والتمسك بالشريعة الإسلامية، فتحشد قوة من المتطوعين المسلمين بمحاصرة المدينة واقتحامها وانتصارهم في المعركة فتم استرداد المدينة في عام (457هـ/1065م) ولذلك لقب حاكم المدينة أحمد بن هود بالمقتدر بالله⁽²⁷⁾. يوصف البكري ذلك بقوله: "وفتحها بعد ذلك أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة مع أهل الثغور واستنجد بحلفائه من رؤساء الأندلس، ونهد إليها في جمع كثيف ذوي جد وحده، ففتحها الله عز وجل على يديه عنوة..."⁽²⁸⁾.

فكان لجهود أحمد بن هود الملقب بالمقتدر بالله باسترجاع مدينة بريشترا للمسلمين وساعده في ذلك رجال ابن عباد صاحب مملكة أشبيلية بخمسمائة فارس وصفوا بالأشداء مما انهزم العديد منهم عند وصولهم للمدينة التي اقتحموها وسيطروا عليها، وقد استشهد من المسلمين ما يقدر بخمسون شهيداً في حين يقدر عدد النصاري الذي قتلوا في المعركة بألف وخمسمائة فارس وراجل، وبذلك تم رد العدوان واسترجاع الأرض التي فقدت إلى المسلمين وفي نفس الوقت حافظوا على ما تبقى من أعراض المسلمين وأموالهم⁽²⁹⁾.

ان دعوة علماء المسلمين ووجهاء أهل الأندلس اثمرت نتائج ايجابية بالدعوة الى الجهاد ورفع راية الاسلام مجدداً في نجدة أهل مدينة بريشترا من المتطوعين الذين هبوا من مختلف الجهات ملين دعوة الجهاد لإنقاذ ما تبقى من أهالي المدينة المنكوبة، ذلك هو المسلم عندما يستدعى الى رفع الظلم عن اخوانه المسلمين لن يتردد في التضحية بحياته من اجل تحقيق هدف الدين الاسلامي وهو العيش بكرامة وسمو لذلك كان النصر حليفهم رغم المخاطر والمحن⁽³⁰⁾.

بعد تلك الحادثة وتساقط المدن الأندلسية في عصر الطوائف، انشد الشعراء رثاء للمدن التي سقطت بيد الممالك النصرانية، امثال ابن الفرج اليحصبي المشهور بابن العسال بقوله⁽³¹⁾:

يا اهل أندلسي حثوا مطيكم
الثوب ينسل من اطرافه وارى
من جاور الشر لا يؤمن بوائقه

فما المقام بها الا من الغلط
ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
كيف الحياة مع الحيات في سفت

على الرغم من استرجاع مدينة بريشتي الا ان سقوط مملكة سرقسطة كان امراً محتوماً في عام (512هـ/1118م) وبذلك خضعت جميع المدن الأندلسية داخل مملكة سرقسطة تحت سيطرة مملكة اراغون النصرانية، فكانت النتائج معروفة لدى المجتمع الأندلسي بسبب تكالب القوى النصرانية على الأندلس وانهيار الوحدة الوطنية الى كيانات صغيرة على اساس مبدأ الوراثة فضلاً عن تقرب ملوك الطوائف الى الممالك النصرانية لمساعدتهم في قتال بعضهم على بعض وعقد المعاهدات التي فيها التنازل عن الأراضي الأندلسية، والتفكير بالمصالح الذاتية وإهمال المصلحة العامة وفي نفس الوقت نجحت الممالك النصرانية بمساعدة ملوك الطوائف في نزاعاتهم باستمرار لإبقائهم ضعفاء ، ولم يكتفوا بذلك بل تعمدوا بتخريب اراضي المسلمين خارج سيطرتهم لإضعاف السكان وإجبارهم على الهجرة وترك اراضيهم⁽³²⁾.

الخاتمة

بعد أن انقضت الأحداث وتوارت الأخبار في الأندلس، بقت تلك الحادثة المؤلمة في التاريخ الأندلسي التي وقعت في عام (456هـ/1064م) تذكر على مر الأجيال، صحيح أن الكثير من المؤرخين لم يتطرق إلى تفاصيلها الدقيقة لكن في نفس الوقت أشاروا إلى فداحة الأعمال الوحشية التي ارتكبت بحق الناس العزل والغير مسلحين من نساء وشيوخ وأطفال ورجال وقعوا في الأسر مستسلمين للنورماندين معتقدين بأنهم يسكنون بأمان لأنهم عزل وغير محاربين إلا أن غدر النورماندين بهم والمفاجئ جعلهم ضحية لتلك الواقعة المؤلمة على المسلمين، في وقت ضعف ملوك الطوائف وتشتتهم أمام الممالك النصرانية، إلا أن وصول أخبار سقوط مدينة بريشتي بيد النورماندين وما قاموا به من أعمال وحشية وانتهاك لحركة المسلمين بالاعتداء على نساءهم وسبي الكثير منهم ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا منهم كهدية إلى ملك القسطنطينية، فضلاً عن ما قاموا به من أعمال قتل ونهب وسرقة أموال المسلمين والاستحواذ على دورهم، مما أدى إلى استنهاض الهمم في الأندلس وقام العلماء والفقهاء بحث المسلمين للوحدة وحب الوطن والذود عن شرف المسلمين والرد على انتهاك النورماندين في مدينة بريشتي.

فبعد تسعة شهور من ذلك الانتهاك تجمع المسلمون لخوض معركة مع النورماندين وذلك لاسترجاع مدينة بريشتي مما لحقها من تلك الأعمال الهمجية والغير أخلاقية، ففي عام (457هـ/1065م) انتصر المسلمون بتخليص المدينة من سطوة النورماندين وتخليص ما تبقى من الأسرى داخل المدينة.

فعلى الرغم من استرجاع المدينة والرد على العدوان النورماندين الذين قتل عدد منهم وفر الباقين من المدينة لكن ذلك لم يمحو ما قاموا به النورماندين من ذاكرة الأندلسيين والتي يستذكروها الأجيال القادمة للانعاط وكسب الدروس والعبر من الأحداث التاريخية الماضية فضلاً عن تحليل الحادثة التاريخية وهو لماذا اختار النورمان هذا الوقت للهجوم على المدينة الآمنة والجواب عليه بسبب ضعف حكام المسلمين في عصر الطوائف وعدم الاهتمام بالرعية والانشغال بالصراع الداخلي من أجل أطماع شخصية زائلة فلذلك تجرأ النورمان واعتدى على المدينة، فبذلك نستفاد من تلك الواقعة بضرورة الوحدة الوطنية

وتوحيد القوى الشعبية لكي لا يتجرأ أي جهة خارجية من الاعتداء على سلامة وأمن الأرض وساكنيها وبالمقابل فالتشتت والفرقة يولد الضياع وخسران المال والوطن.

الهوامش:

1. السلي الأندلسي، عبد الملك بن حبيب (ت: 238هـ/852م)، كتاب التاريخ، وضع حواشيه، سالم مصطفى البدري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1999م، ص 45-136؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق- سوريا، 2008م، ص 125-194.
2. ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي (متوفي بعد سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2009م، ج 2، ص 35-98؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوبايا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2009م، ص 98-223؛ العامري، محمد بشير حسن راضي، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015، ص 67-96.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبروديان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: عادل بن سعد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2010م، ج 4، ص 137؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص 203-209؛ السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامية، بيروت- لبنان، 2004م، ص 174-177.
4. المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت: 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2008م، ص 21-29؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 317-326.
5. المراكشي، المعجب، ص 42-45؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 150-155؛ نصر الله، سعدون، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1998م، ص 161-163؛ العتيبي، محمد سعيد رضا محمد بشير العامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، بلا طبعة، الدار الجامعية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2002م، ص 469-482.
6. ابن الخطيب الغرناطي، أبي عبد الله محمد عبد الله بن سعيد (ت: 776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق: سيد صلاح كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، ج 2، ص 140-144؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 358.
7. ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 222 و 253-255. حومد، أسعد، محنة العرب في الأندلس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988م، ص 100 و 101.
8. النورمان: هم من الوثنيين الذين دخلوا النصرانية في منطقة شمال غرب فرنسا في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان قائدهم هو جيوم دي مونري. للمزيد من المعلومات ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 274.
9. الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 360.

10. طقوش، محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، الطبعة الثالثة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2010م، ص473.
11. شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت: 626هـ/1228م)، معجم البلدان، بلا طبعة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1977م، م1، ص370.
12. البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، حققه ووضع فهرسه: جمال طلبة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، ج2، ص296؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 127-130؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة (دول الطوائف)، الطوائف الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1943م، ص257.
13. محمد بن عبد المنعم (ت: 710هـ/1310م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعاطر في خبر الأقطار، تحقيق: لافي بروفنسال، الطبعة الثانية، مطبعة مؤسسة ناصر للثقافة، دار السراج، بيروت، 1988م، ص38.
14. المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه وعلق عليه: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1995م، ج6، ص208؛ طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص474.
15. ابن بسام، أبي الحسن علي الشنتري (ت: 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2012م، م3، ص118؛ حومد، محنة العرب في الأندلس، ص102.
16. صفة جزيرة الأندلس، ص39-40.
17. نصر الله، سعدون، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1998م، ص209-216؛ حومد، محنة العرب في الأندلس، ص102.
18. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م3، ص113-114.
19. ابن سماك، أبي القاسم محمد المالقي الغرناطي (ت: 820هـ/1417م)، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2010م، ص137؛ السرجاني، راغب، قصة الأندلس من الفتح الى السقوط، الطبعة الأولى، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة- مصر، 2011م، ج1، ص386.
20. الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، ص101.
21. حومد، محنة العرب في الأندلس، ص103؛ السويدان، الأندلس التاريخ المصور، 245-263.
22. ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص453؛ دوزي، رينهوت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة: وتعليق وتقديم: حسن حبشي، المسلمون في الأندلس، بلاط، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1995، ج3، ص82.
23. صفة جزيرة الأندلس، ص40.
24. المقري، نفح الطيب، ج6، ص209-210؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص243.
25. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص277.

26. البيان المغرب، ج3، ص254.
27. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م 3، ص120؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص254-255؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص213.
28. المسالك والممالك، ج2، ص296.
29. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م 3، ص122 و123؛ ابن السماك، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، ص137؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص213؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ج3، ص83.
30. السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص265.
31. جرار، صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، الطبعة الثانية، دار المسيرة، عمان، 2009م، ص153.
32. المركشي، المعجب، ص54-68، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص355-360.